المصباح المنير في تهذيب

تفسير ابن كثير

طبعة جديدة منقحة ومصححة

للإمام الجليل عماد الدين أبي الفداء

إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي رحمه الله

المتوفى ٧٧٤هـ

إعداد: جماعة من العلماء

بإشراف

الشيخ صفي الرحمن المباركفوري

دار السلام

DARUSSALAM

شرح الرموز المستعملة في التخريج

ابن أبي حاتم	= تفسير ابن أبي حاتم
ابن أبي حاتم غ	= تفسير ابن أبي حاتم تحقيق الدكتور الغامدي مسودة غير مطبوع
ابن أبي شيبة	= المصنف لابن أبي شيبة
ابن حبان	= صحيح ابن حبان
ابن خزيمة	= صحيح ابن خزيمة
ابن عدي	= الكامل في ضعفاء الرجال لابن عدي
ابن عساكر	= تاريخ دمشق لابن عساكر (مختصر)
ابن ماجه	= السنن للإمام ابن ماجه القزويني
ابن هشام	= سيرة ابن هشام
أبو داود	= السنن للإمام أبي داود
أحمد	= مسند الإمام أحمد بن حنبل
الإحياء	= إحياء العلوم للإمام الغزالي
الأم	= كتاب الأم للإمام الشافعي
البخاري	= الصحيح للإمام البخاري
البغوي	= تفسير للإمام البغوي
البيهقي	= السنن الكبرى للإمام البيهقي
تحفة الأحوذي	= شرح جامع الترمذي للشيخ عبدالرحمن المباركفوري
التاريخ الكبير	= للإمام البخاري
الترمذي	= جامع الترمذي
الحاكم	= المستدرك للحاكم
الحلية	= حلية الأولياء لأبي نعيم
الحميدي	= مسند الحميدي
الخطيب	= التاريخ للخطيب البغدادي
الدارقطني	= السنن للإمام الدارقطني
الدارمي	= سنن الدارمي
الرازي	= التفسير الكبير للإمام فخر الدين الرازي
الزفاف	= آداب الزفاف لناصر الدين الألباني
سعيد بن منصور	= سنن سعيد بن منصور
السنة	= كتاب السنة لابن أبي عاصم
شرح السنة	= شرح السنة للإمام البغوي
الشريعة	= لمحمد بن الحسين الآجريّ
الطبراني	= المعجم الكبير للطبراني
الطبري	= تفسير جامع البيان للطبري
عبدالرزاق	= تفسير عبدالرزاق
عدي	= الكامل لابن عدي
العظمة	= العظمة لأبي الشيخ دار العاصمة الرياض
العقيلي	= الضعفاء الكبير للعقيلي
علل الحديث	= لعلي بن المديني
عمدة التفسير	= عمدة التفسير عن الحافظ ابن كثير (أحمد شاكر)
غريب الحديث	= غريب الحديث لأبي عبيد القاسم
فتح الباري	= فتح الباري شرح صحيح البخاري، لابن حجر
القرطبي	= تفسير الجامع لأحكام القرآن للقرطبي.
الكشاف	= تفسير الكشاف للزمخشري
الكنز	= كنز العمال
المجمع	= مجمع الزوائد
المحرر الوجيز	= المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز لعبد الحق بن غالب الغرناطي
المحلى	= المحلى لابن حزم
مسلم	= الصحيح للإمام مسلم
مشكاة	= مشكاة المصابيح للخطيب التبريزي
مشكل	= مشكل الآثار للطحاوي
المطالب	= المطالب العالية بزوائد المسانيد الثمانية لابن حجر
موارد الظمآن	= موارد الظمآن لأبي بكر الهيثمي
الموطأ	= موطأ الإمام مالك
النسائي في الكبرى	= السنن الكبرى للإمام النسائي
النسائي	= السنن للإمام النسائي
اليوم والليلة	= عمل اليوم والليلة للنسائي

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

[مقدمة ابن كثير]

(قال الشيخ الإمام الأوحد، البارع الحافظ المتقي، عماد الدين أبو الفداء: إسماعيل بن الخطيب أبي حفص عمر بن كثير، الشافعي، رحمه الله تعالى ورضي عنه):

الحمد لله الذي افتتح كتابه بالحمد فقال: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾ وافتتح خلقه بالحمد فقال تعالى: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ۝١﴾ واختتمه بالحمد فقال بعد ما ذكر مآل أهل الجنة وأهل النار ﴿وَتَرَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةَ حَآفِّينَ مِنْ حَوْلِ ٱلْعَرْشِ يُسَبِّحُونَ بِحَمْدِ رَبِّهِمْ ۖ وَقُضِىَ بَيْنَهُم بِٱلْحَقِّ وَقِيلَ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٧٥﴾ ولهذا قال تعالى: ﴿وَهُوَ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ ٱلْحَمْدُ فِى ٱلْأُولَىٰ وَٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَلَهُ ٱلْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ۝٧٠﴾ فله الحمد في الأولى والآخرة، أي في جميع ما خلق وما هو خالق، هو المحمود في ذلك كله كما يقول المصلي: «اللَّهُمَّ رَبَّنَا لَكَ الْحَمْدُ، مِلْءَ السَّمٰوَاتِ وَمِلْءَ الْأَرْضِ وَمِلْءَ مَا شِئْتَ مِنْ شَيْءٍ بَعْدُ».(١)

والحمد لله الذي أرسل رسله ﴿مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى ٱللَّهِ حُجَّةٌۢ بَعْدَ ٱلرُّسُلِ﴾ وختمهم بالنبي الأمي العربي المكي الهادي لأوضح السبل، أرسله إلى جميع خلقه من الإنس والجن من لدن بعثته إلى قيام الساعة. كما قال تعالى: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ يُحْىِۦ وَيُمِيتُ ۖ فَـَٔامِنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِ ٱلنَّبِىِّ ٱلْأُمِّىِّ ٱلَّذِى يُؤْمِنُ بِٱللَّهِ وَكَلِمَٰتِهِۦ وَٱتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ۝١٥٨﴾ وقال تعالى: ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَ ۚ﴾ فمن بلغه هذا القرآن من عرب وعجم، وأسود وأحمر، وإنس وجان فهو نذير له، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِۦ مِنَ ٱلْأَحْزَابِ فَٱلنَّارُ مَوْعِدُهُۥ ۚ﴾ فمن كفر بالقرآن ممن ذكرنا فالنار موعده بنص الله تعالى، كما قال تعالى: ﴿فَذَرْنِى وَمَن يُكَذِّبُ بِهَٰذَا ٱلْحَدِيثِ ۖ سَنَسْتَدْرِجُهُم مِّنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ ۝٤٤﴾ وقال رسول الله ﷺ: «بُعِثْتُ إِلَى الْأَحْمَرِ وَالْأَسْوَدِ» قال مجاهد: يعني الإنس والجن(٢).

فهو صلوات الله وسلامه عليه رسول الله إلى جميع الثقلين الإنس والجن، مبلغًا لهم عن الله تعالى ما أوحاه إليه من هذا الكتاب العزيز الذي ﴿لَّا يَأْتِيهِ ٱلْبَٰطِلُ مِنۢ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِۦ ۖ تَنزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ۝٤٢﴾

[الأمر بفهم القرآن]

وقد أعلمهم فيه عن الله تعالى أنه ندبهم إلى فهمه، فقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ ۚ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِندِ غَيْرِ ٱللَّهِ لَوَجَدُوا۟ فِيهِ ٱخْتِلَٰفًا كَثِيرًا ۝٨٢﴾ وقال تعالى: ﴿كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓا۟ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ۝٢٩﴾ وقال تعالى: ﴿أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ ٱلْقُرْءَانَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَآ ۝٢٤﴾.

(فالواجب) على العلماء الكشف عن معاني كلام الله وتفسير ذلك، وطلبه من مظانه، وتعلم ذلك وتعليمه كما قال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمْ وَٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ ۝١٨٧﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ ٱللَّهِ وَأَيْمَٰنِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ لَا خَلَٰقَ لَهُمْ فِى ٱلْءَاخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ ٱللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٧﴾ فذم الله تعالى أهل الكتاب قبلنا بإعراضهم عن كتاب الله المنزل إليهم، وإقبالهم على الدنيا وجمعها، واشتغالهم بغير ما أمروا به من اتباع كتاب الله.

فعلينا أيها المسلمون أن ننتهي عما ذمهم الله تعالى به، وأن نأتمر بما أمرنا به من تعلم كتاب الله المنزل إلينا وتعليمه، وتفهمه وتفهيمه، قال تعالى: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا۟ كَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ ۖ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَٰسِقُونَ ۝١٦ ٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يُحْىِ ٱلْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا ۚ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ۝١٧﴾ ففي ذكره تعالى لهذه الآية بعد التي قبلها تنبيه على أنه تعالى كما يحيي الأرض بعد موتها كذلك يلين القلوب بالإيمان والهدى بعد قسوتها من الذنوب والمعاصي، والله المؤمل المسؤول أن يفعل بنا هذا إنه جواد كريم.

[أصول التفسير]

فإن قال قائل: فما أحسن طرق التفسير؟ (فالجواب)

---

(١) مسلم: ١/ ٣٤٣ (٢) أحمد: ٥/ ١٤٥

التفسير عن مجاهد فحسبك به[١].

وكسعيد بن جبير وعكرمة مولى ابن عباس وعطاء بن أبي رباح والحسن البصري ومسروق بن الأجدع وسعيد ابن المسيب وأبي العالية والربيع بن أنس وقتادة والضحاك ابن مزاحم وغيرهم من التابعين وتابعيهم ومن بعدهم، فتذكر أقوالهم في الآية، فيقع في عبارتهم تباين في الألفاظ يحسبها من لا علم عنده اختلافًا، فيحكيها أقوالا، وليس كذلك فإن منهم من يعبر عن الشيء بلازمه أو بنظيره، ومنهم من ينص على الشيء بعينه، والكل بمعنى واحد في أكثر الأماكن، فليتفطن اللبيب لذلك، والله الهادي.

[التفسير بالرأي]

فأما تفسير القرآن بمجرد الرأي فحرام لما رواه محمد ابن جرير رحمه الله تعالى عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «مَنْ قَالَ فِي الْقُرْآنِ بِرَأْيِهِ أَوْ بِمَا لَا يَعْلَمُ، فَلْيَتَبَوَّأْ مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ» وهكذا أخرجه الترمذي والنسائي وأبو داود. وقال الترمذي: هذا حديث حسن.[٢]

[السكوت عن تفسير غير المعلوم]

ولهذا تحرج جماعة من السلف عن تفسير ما لا علم لهم به، كما روى ابن جرير عن أبي معمر قال: قال أبو بكر الصديق رضي الله عنه: أيُّ أرض تقلني، وأي سماء تظلني، إذا قلت في كتاب الله ما لا أعلم[٣]. وروى أيضًا عن أنس أن عمر بن الخطاب قرأ على المنبر ﴿وَفَٰكِهَةً وَأَبًّا ۝٣١﴾ فقال هذه الفاكهة قد عرفناها فما الأبّ؟ ثم رجع إلى نفسه فقال: إن هذا لهو التكلف يا عمر[٤]. وهذا محمول على أنه رضي الله عنه إنما أرادا استكشاف علم كيفية الأب، وإلا فكونه نبتًا من الأرض ظاهر لا يجهل، كقوله تعالى: ﴿فَأَنۢبَتْنَا فِيهَا حَبًّا ۝٢٧ وَعِنَبًا وَقَضْبًا ۝٢٨﴾ الآية

وروى ابن جرير عن ابن أبي مليكة؛ أنّ ابن عباس سئل عن آية - لو سئل عنها بعضكم لقال فيها - فأبى أن يقول فيها، إسناده صحيح[٥]، وروى أيضًا عن ابن أبي مليكة قال: سأل رجل ابن عباس عن ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥٓ أَلْفَ سَنَةٍ﴾ فقال له ابن عباس: فما ﴿يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُۥ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾؟ فقال له الرجل إنما سألتك لتحدثني فقال ابن عباس: هما يومان ذكرهما الله في كتابه أعلم بهما، فكره أن يقول في كتاب الله ما لا يعلم[٦].

وقال الليث عن يحيى بن سعيد عن سعيد بن المسيب أنه كان لا يتكلم إلا في المعلوم من القرآن[٧]. وقال أيوب وابن عون وهشام الدستوائي عن محمد بن سيرين: سألت عبيدة يعني السلماني عن آية من القرآن فقال: ذهب الذين كانوا يعلمون فيم أنزل القرآن فاتق الله وعليك بالسداد[٨]. وروى الشعبي عن مسروق قال: اتقوا التفسير فإنما هو الرواية عن الله[٩].

فهذه الآثار الصحيحة وما شاكلها عن الصحابة وأئمة السلف محمولة على تحرجهم عن الكلام في التفسير بما لا علم لهم فيه. فأما من تكلم بما يعلم من ذلك لغة وشرعًا فلا حرج عليه، ولهذا روي عن هؤلاء وغيرهم أقوال في التفسير، ولا منافاة، لأنهم تكلموا فيما علموه وسكتوا عما جهلوه، وهذا هو الواجب على كل أحد، فإنه كما يجب السكوت عما لا علم له به فكذلك يجب القول فيما سئل عنه مما يعلمه، لقوله تعالى: ﴿لَتُبَيِّنُنَّهُۥ لِلنَّاسِ وَلَا تَكْتُمُونَهُۥ﴾ ولما جاء في الحديث الذي روي من طرق: «مَنْ سُئِلَ عَنْ عِلْمٍ فَكَتَمَهُ، أُلْجِمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَامٍ مِنْ نَارٍ[١٠]».

[وجوه التفسير]

قال ابن جرير: حدثنا محمد بن بشار: حدثنا مؤمل: حدثنا سفيان عن أبي الزناد قال: قال ابن عباس: التفسير على أربعة أوجه: وجه تعرفه العرب من كلامها، وتفسير لا يعذر أحد بجهالته، وتفسير يعلمه العلماء، وتفسير لا يعلمه أحد إلا الله[١١].

[السور المكية والمدنية]

روى همام عن قتادة قال: نزل في المدينة من القرآن البقرة وآل عمران والنساء والمائدة وبراءة والرعد والنحل والحج والنور والأحزاب ومحمد والفتح والحجرات والرحمن والحديد والمجادلة والحشر والممتحنة والصف

---

(١) الطبري: ١/ ٩١ (٢) الطبري: ١/ ٧٧ وتحفة الأحوذي: ٨/ ٢٧٧ والنسائي في فضائل القرآن: ١١٤ وأبو داود في العلم من رواية أبي الحسن بن العبد - قاله المزي في الأطراف: ٤/ ٤٢٣ (٣) الطبري: ١/ ٧٨ (٤) الطبري: ٢٤/ ٢٢٩ (٥) الطبري: ١/ ٨٦ (٦) الطبري: ٢٣/ ٦٠٢ (٧) الطبري: ١/ ٨٦ (٨) الطبري: ١/ ٨٦ (٩) الطبري: ١/ ٨٦ (١٠) أحمد: ٢/ ٢٦٣ و٣٠٥ و٤٩٥ وتحفة الأحوذي: ٧/ ٤٠٧ والحاكم: ١/ ١٠١ (١١) الطبري: ١/ ٧٥

سيبويه: وأصلها أَيَيَة مثل أكَمة وشجرة، تحركت الياء وانفتح ما قبلها فقلبت ألفًا، فصارت آية بهمزة بعدها مدة. وقال الكسائي: أصلها آيِيَة على وزن آمنة، فقلبت ألفًا ثم حذفت لالتباسها. وقال الفراء: أصلها أيَّة، بتشديد الياء، فقلبت الأولى ألفًا كراهية التشديد، فصارت آية، وجمعها آي وآيات وآياي.

[معنى الكلمة]

وأما الكلمة فهي اللفظة الواحدة، وقد تكون على حرفين مثل «ما» و «لا» ونحو ذلك. وقد تكون أكثر، وأكثر ما تكون عشرة أحرف مثل ﴿لِيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ﴾ و﴿أَنُلْزِمُكُمُوهَا﴾ ﴿فَأَسْقَيْنَاكُمُوهُ﴾. وقد تكون الكلمة الواحدة آية مثل ﴿وَٱلْفَجْرِ ۝١﴾ ﴿وَٱلضُّحَىٰ ۝١﴾ ﴿وَٱلْعَصْرِ ۝١﴾ وكذلك ﴿الٓمٓ ۝١﴾ و﴿طه ۝١﴾ و﴿يٰسٓ ۝١﴾ و﴿حمٓ ۝١﴾ في قول الكوفيين، و﴿حمٓ ۝١ عٓسٓقٓ ۝٢﴾ عندهم كلمتان، وغيرهم لا يسمي هذه آيات، بل يقول: هذه فواتح السور. وقال أبو عمرو الداني: لا أعلم كلمة هي وحدها آية إلا قوله تعالى: ﴿مُدْهَآمَّتَانِ ۝٦٤﴾ بسورة الرحمن.

[العجمة والقرآن]

(فصل) قال القرطبي: أجمعوا على أنه ليس في القرآن شيء من التراكيب الأعجمية، وأجمعوا أن فيه أعلامًا من الأعجمية كإبراهيم ونوح ولوط، واختلفوا هل فيه شيء من غير ذلك بالأعجمية، فأنكر ذلك الباقلاني والطبري وقالا: ما وقع فيه مما يوافق الأعجمية فهو من باب ما توافقت فيه اللغات.

سورة الفاتحة

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

[أسماء الفاتحة ومعناها]

يقال لها: الفاتحة، أي فاتحة الكتاب خطًا، وبها تفتتح القراءة في الصلوات، ويقال لها أيضًا أم الكتاب عند الجمهور، وقد ثبت في الصحيح عند الترمذي وصححه عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ أُمُّ الْقُرْآنِ، وَأُمُّ الْكِتَابِ، وَالسَّبْعُ الْمَثَانِي، وَالْقُرْآنُ الْعَظِيمُ» ويقال لها: (الحمد) ويقال لها: (الصلاة) لقوله ﷺ عن ربه: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ

عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَإِذَا قَالَ الْعَبْدُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ قَالَ اللهُ: حَمِدَنِي عَبْدِي»[1] الحديث. فسميت الفاتحة صلاة لأنها شرط فيها، ويقال لها: (الرقية) لحديث أبي سعيد في الصحيح حين رقى بها الرجل السليم فقال له رسول الله ﷺ «وَمَا يُدْرِيكَ أَنَّهَا رُقْيَةٌ»[2] ؟

وهي مكية قاله ابن عباس وقتادة وأبو العالية، لقوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَٰكَ سَبْعًا مِّنَ ٱلْمَثَانِى﴾ والله تعالى أعلم.

[عدد آياتها]

وهي سبع آيات بلا خلاف. والبسملة آية مستقلة من أولها، كما هو عند جمهور قراء الكوفة، وقول جماعة من الصحابة والتابعين وخلق من الخلف.

[عدد كلماتها وحروفها]

قالوا وكلماتها خمس وعشرون كلمة، وحروفها مائة وثلاثة عشر حرفًا.

---

(١) تحفة الأحوذي: ٨/ ٢٨٣ (٢) فتح الباري: ٤/ ٥٢٩

الكلام على ما يتعلق بهذا الحديث مما يختص بالفاتحة من وجوه

وهو أنه قد أطلق فيه لفظ الصلاة، والمراد القراءة، كقوله تعالى: ﴿وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا﴾ أي بقراءتك، كما جاء مصرحًا به في الصحيح عن ابن عباس[١]، وهكذا قال في هذا الحديث: «قَسَمْتُ الصَّلَاةَ بَيْنِي وَبَيْنَ عَبْدِي نِصْفَيْنِ، فَنِصْفُهَا لِي وَنِصْفُهَا لِعَبْدِي، وَلِعَبْدِي مَا سَأَلَ» ثم بين تفصيل هذه القسمة في قراءة الفاتحة، فدل على عظمة القراءة في الصلاة، وأنها من أكبر أركانها، إذ أطلقت العبادة وأريد بها جزء واحد منها. وهو القراءة، كما أطلق لفظ القراءة والمراد به الصلاة في قوله: ﴿وَقُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ ۖ إِنَّ قُرْءَانَ ٱلْفَجْرِ كَانَ مَشْهُودًا﴾ والمراد صلاة الفجر، كما جاء مصرحًا به في الصحيحين: «أَنَّهُ يَشْهَدُهَا مَلَائِكَةُ اللَّيْلِ وَمَلَائِكَةُ النَّهَارِ»[٢].

[وجوب قراءة الفاتحة في الصلوات كلها إمامًا كان أو مأمومًا أو منفردًا]

فدل هذا كله على أنه لا بد من القراءة في الصلاة، وهو اتفاق من العلماء. وقد دل عليه الحديث المذكور حيث قال صلوات الله وسلامه عليه: «مَنْ صَلَّى صَلَاةً لَمْ يَقْرَأْ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ فَهِيَ خِدَاجٌ»[٣]. والخداج هو الناقص، كما فسر به في الحديث «غَيْرُ تَمَامٍ». وأيضًا قد ثبت في الصحيحين عن عبادة بن الصامت قال: قال رسول الله ﷺ: «لَا صَلَاةَ لِمَنْ لَمْ يَقْرَأْ بِفَاتِحَةِ الْكِتَابِ»[٤]. وفي صحيحي ابن خزيمة وابن حبان عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول لله ﷺ: «لَا تُجْزِئُ صَلَاةٌ لَا يُقْرَأُ فِيهَا بِأُمِّ الْقُرْآنِ»[٥]. والأحاديث في هذا الباب كثيرة. [فعلى المصلي أن يقرأ فاتحة الكتاب إماما كان أو مأمومًا أو منفردًا في جميع الصلوات وفي كل ركعة ولابد].

تفسير الاستعاذة وأحكامها

قال الله تعالى: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ٱلسَّيِّئَةَ ۚ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ ﴿٩٦﴾ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَٰتِ ٱلشَّيَٰطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾﴾ وقال تعالى: ﴿ٱدْفَعْ بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ فَإِذَا ٱلَّذِى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُۥ عَدَٰوَةٌ كَأَنَّهُۥ وَلِىٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ٱلَّذِينَ صَبَرُوا۟ وَمَا يُلَقَّىٰهَآ إِلَّا ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ ﴿٣٥﴾ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ نَزْغٌ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾﴾.

فهذه ثلاث آيات ليس لهن رابعة في معناها، وهو أن الله تعالى يأمر بمصانعة العدو الإنسي والإحسان إليه، ليرده عنه طبعه الطيب الأصل إلى الموالاة والمصافاة، ويأمر بالاستعاذة به من العدو الشيطاني لا محالة، إذ لا يقبل مصانعة ولا إحسانًا، ولا يبتغي غير هلاك ابن آدم، لشدة العداوة بينه وبين أبيه آدم من قبل كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِىٓ ءَادَمَ لَا يَفْتِنَنَّكُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ كَمَآ أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ ٱلْجَنَّةِ﴾ وقال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ۚ إِنَّمَا يَدْعُوا۟ حِزْبَهُۥ لِيَكُونُوا۟ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٦﴾﴾ وقال: ﴿أَفَتَتَّخِذُونَهُۥ وَذُرِّيَّتَهُۥٓ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِى وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌۢ ۚ بِئْسَ لِلظَّٰلِمِينَ بَدَلًا﴾ وقد أقسم للوالد آدم عليه السلام أنه له لمن الناصحين، وكذب، فكيف معاملته لنا وقد قال: ﴿فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٨٣﴾﴾ وقال تعالى: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾ إِنَّهُۥ لَيْسَ لَهُۥ سُلْطَٰنٌ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٩٩﴾ إِنَّمَا سُلْطَٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾﴾.

[الاستعاذة تكون قبل التلاوة]

ومعنى قوله: ﴿فَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ فَٱسْتَعِذْ بِٱللَّهِ مِنَ ٱلشَّيْطَٰنِ ٱلرَّجِيمِ ﴿٩٨﴾﴾ أي إذا أردت القراءة كقوله تعالى: ﴿إِذَا قُمْتُمْ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغْسِلُوا۟ وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ﴾ الآية: أي إذا أردتم القيام، والدليل على ذلك الأحاديث عن رسول الله ﷺ بذلك. روى الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله عن أبي سعيد الخدري قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام من الليل فاستفتح صلاته وكبر قال: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ وَتَعَالَىٰ جَدُّكَ، وَلَا إِلَٰهَ غَيْرُكَ. ثُمَّ يَقُولُ: لَا إِلَٰهَ إِلَّا اللهُ ثَلَاثًا - ثُمَّ يَقُولُ: - أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ مِنْ هَمْزِهِ وَنَفْخِهِ وَنَفْثِهِ». ورواه أهل السنن الأربعة وقال الترمذي: هو

---

(١) فتح الباري: ٨/ ٢٥٧ (٢) فتح الباري: ٨/ ٢٥١ ومسلم: ١/ ٤٣٩ (٣) أحمد: ٢/ ٢٥٠ (٤) فتح الباري: ٢/ ٢٧٦ ومسلم: ١/ ٢٩٥ (٥) ابن خزيمة: ١/ ٢٤٨ وابن حبان: ٣/ ١٣٩